

اسمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

9

الْبِكْرِ

الْحَكِيمِ

الْعَالِمِ

مجلد: ۹
شماره: ۱
تاریخ: ۱۳۸۵

الْبَصِيرُ

أَرَادَ أَحَدُ الْمُعَلِّمِينَ أَنْ يَخْتَبِرَ ذُكَاءَ تَلَامِيذِهِ وَمَدَى
عِلْمِهِمْ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ طَائِرًا وَقَالَ :
- أُرِيدُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَذْهَبَ وَيَخْتَفِيَ عَنِ
الْأَنْظَارِ ثُمَّ يَذْبَحُ هَذَا الطَّائِرَ فِي مَكَانٍ لَا يَرَاهُ فِيهِ أَحَدٌ .
وَأَسْرَعَ التَّلَامِيذُ فَذْهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي اتِّجَاهٍ وَنَفَذَ مَا أَمَرَهُ
بِهِ أَسَاتِذُهُ ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ ذَبَحُوا الطُّيُورَ الَّتِي
مَعَهُمْ ، بِاسْتِثْنَاءِ تَلْمِيذٍ وَحِيدٍ . وَهَنًا سَأَلَهُ الْمُعَلِّمُ أَمَامَ
زُمَلَانِهِ قَائِلًا :

- لِمَاذَا لَمْ تَذْبَحِ الطَّائِرَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ إِيَّاهُ

يَا بَنِي كَمَا فَعَلَ زَمَلَاؤُكَ ؟

فَأَجَابَ التَّلْمِيزُ الذَّكِيُّ :

— لَأَنَّكَ طَلَيْتَ مِنِّي أَنْ أَذْبَحَهُ فِي مَكَانٍ لَا يَرَانِي فِيهِ أَحَدٌ ، وَكَلَّمَا ذَهَبْتُ إِلَى مَكَانٍ أَوْ اخْتَفَيْتُ عَنِ الْأَنْظَارِ عَلِمْتَ أَنَّي لَا أَخْفَى عَلَى اللَّهِ ، فَهُوَ يَرَانِي حَيْثُمَا كُنْتُ ، لِأَنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .

رَبَّتِ الْمَعْلَمُ عَلَى كَيْفِ تَلْمِيزِهِ وَقَالَ فِي سَعَادَةٍ :

— حَقًّا هَذَا هُوَ مَا أَرَدْتُ أَنْ أَلْفِتَ أَنْظَارَكُمْ إِلَيْهِ ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْبَصِيرِ الَّذِي يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ .

إِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) الْبَصِيرُ هُوَ الَّذِي يُشَاهِدُ وَيَرَى كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ حَتَّى مَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَهُوَ يَدْرِكُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَقِيقَةَ هَذَا الْأِسْمِ وَفَقَهُ مَعْنَاهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ لَامْتَنَعَ عَنِ الْقِيَامِ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ، فَكَيْفَ يَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاهُ ؟ أَلَا يَشْعُرُ

بالخجل وهو يرتكب المعاصي ؟ ولذلك نجد
العالم الورع إبراهيم بن أدهم يُفحِم الرجل الذي جاء
يسأله عن طريقة يُقلع بها عن ارتكاب المعاصي ، إذ
قال له في حَسْمِهِ :

- إذا أردت أن تعصى الله فابحث عن مكان لا يراك فيه ؟
فتعجب الرجل وقال :

- كيف تطلب مني ذلك وأنت تعلم أن الله لا يخفى
عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟
فاجاب إبراهيم بن أدهم :

- إذا كنت تعلم هذا يا أخي ، أفلا تستحي وأنتا تعصى
الله إذ يراك على معصيتك ، وهو الذي ورّكك وأغناك
ومتعك بالصحة والأمال ؟

حقاً إذا كان الله يرانا في كل الحالات وفي كل
المواقف ، فمن الأدب ألا يرانا في معصية . وليس معنى
هذا أن الإنسان ملاك طاهر لا يخطئ ، فالإنسان بشر

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخْطِئَ وَأَنْ يَقَعَ فِي الذُّنُوبِ ،
 وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ أَنْ يَجَاهِدَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى
 يَتَّعِدَ عَنِ الْخَطَا قَدْرَ الْإِمْكَانِ ، وَإِذَا وَقَعَ فِيهِ عَلَيْهِ أَنْ
 يَصْحَحَ أُمُورَهُ وَيُرَاجِعَ نَفْسَهُ وَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ . وَلَعَلَّ
 الْفَرْقَ وَاضِحٌ بَيْنَ مَعْصِيَةِ إِبْلِيسَ وَجَرِيمَتِهِ وَبَيْنَ
 مَعْصِيَةِ آدَمَ ﷺ ، حَيْثُ عَصَى إِبْلِيسُ رَبَّهُ وَأَصْرَ عَلَى
 مَوْقِفِهِ وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى خَطِيئَتِهِ ، فَكَانَتْ نِهَائَتُهُ أَلِيْمَةً
 حَيْثُ طَرَدَهُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، أَمَّا آدَمُ ﷺ فَقَدْ عَصَى رَبَّهُ
 بِسَبَبِ نِسْيَانِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَادَ فِي ذَلِكَ ، فَأَعْلَنَ
 تَوْبَتَهُ وَرَجُوعَهُ إِلَى الْحَقِّ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ ،
 قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ
 إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . (البقرة : ٣٧)

وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمُ الْبَصَرَ
 لِيَتَأَمَّلُوا فِي خَلْقِهِ ، وَأَمْرَهُمْ بِأَنْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً لَهُمْ .

قال (تعالى) :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

وقال (تعالى) : ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ .

إن الإنسان حينما يتأمل في خلق الله يُنصر على الفور عظمة إبداعه وعجيب صنعه في هذا الكون ، وكم في الكون من آية مبهرة تؤكد وحدانية الخالق الذي أبدع كل شيء ، ولكن الناس يمرون عليها معرضين دون أن يلتفتوا إليها . اللهم إنا نسألك أن تُنير بصيرتنا وأبصارنا ، وأن تُرينا الحق حقاً وترزقنا اتباعه ، وأن تُرينا الباطل باطلاً وترزقنا اجتنابه .

الحكمة

عندما يحدث نزاع أو شجار بين طرفين لأي سبب من الأسباب ، فإن العقل يقتضي أن يتدخل طرف ثالث لكي يحكم بينهما ويسوى هذا النزاع حتى لا تتفاقم الأمور وتصل إلى درجة صعبة . وهذا الطرف الثالث الذي يحكم بين الناس لابد أن تكون له صفات معينة ، حتى لا يظلم طرفاً على حساب الآخر .. فلا بد أن يكون عادلاً ، فلا يهمة أن يقف بجوار هذا أو ذاك ، إنما الذي يهمة أن يقف بجوار الحق والحقيقة ، ولا بد أن يكون عاقلاً حليماً عالماً ، بحيث يستطيع أن يحكم

على بيّنة ونور ، لا على ضلال وجهل ..

وهناك العديد من الصفات التي يجب أن يتصف بها
الحكم ، حتى يكون حكمه عادلاً وصحيحاً .

ولعل ذلك يوضح لنا صعوبة الحكم والفصل بين
الناس ، وأن الإنسان مهما حاول أن يتجرّد عن أهوائه
فإنه عرضة للوقوع في الخطأ .. أما الله (تعالى) الحكم
فإنه يحكم بين الناس بالعدل والقسط ، ويفصل بين
الحق والباطل وبين البر والفاجر ، ويبيّن لكل نفس
ما عملت من خير أو شر . وقد أخبر الله (تعالى) بأنه
الحكم العدل الذي ينبغي أن يرجعوا إليه في كل
مسائلهم واختلافاتهم ، قال (تعالى) : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ..
(النحل : ١٢٤)

ولعل أحداً أن يسأل ويقول : وكيف يحكم الله بيننا ؟
وما الطريقة التي يحكم بها ؟ ولعل الإجابة بسيرة

إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ أَنْزَلَ كُلَّ
 الْأَحْكَامِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَتْرَكْ حُكْمًا إِلَّا وَأَنْزَلَهُ ،
 وَفَصَّلَتْ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ هَذِهِ الْأَحْكَامَ ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى
 لِأَحَدٍ عُدْرَةٌ فِي عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهَا . فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ ، وَخَلَقَ لَهُ مِنْهَا مُحْكَمًا مُتَكَمِّلًا فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ،
 مِنْهَا مُسْتَقِيمًا يَقُومُ عَلَى إِرْسَاءِ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ
 النَّاسِ ، فَجَمَعَ لَهَا إِلَى هَذَا الْمَنْهَجِ اسْتِقَامَ أَمْرِهِ ، وَمَنْ
 حَادَّ عَنْهُ فَقَدْ حَادَّ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا يَمْنَعُ
 هَذَا أَنْ يَجْتَهِدَ الْإِنْسَانُ فِي حَسْمِ الْقَضَايَا الَّتِي تَجِدُ ،
 لِأَنَّ الْحَيَاةَ تَتَطَوَّرُ وَتَسِيرُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَلَكِنْ فِي
 إِطَارِ الْمَبَادِي وَالْقِيَمِ الْعُلْيَا الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ (تَعَالَى) .
 يَقُولُ (تَعَالَى) : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي
 أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ . (الأنعام : ١١٤)
 إِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَنْجَأُ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ تَرْتَاحُ نَفْسُهُ
 وَتَهْدَأُ ، لِأَنَّهُ يَلْقَى بِهِمُومَهُ وَأَلَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ الَّذِي

يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ ، وَلَا يَظْلِمُ النَّاسَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، كَمَا أَنَّ حُكْمَهُ كُلَّهُ فِي صَالِحِ الْإِنْسَانِ ،

لَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الَّذِي سَوَّى هَذَا الْإِنْسَانَ بِيَدَيْهِ .

وَلِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ ، فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُهُ أَنْ يَحْكُمُوا

بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، كَمَا أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ

بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ . قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّى يُحْكُمُوا فِيكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . (النساء : ٦٥)

فَالْعَدْلُ هُوَ أَسَاسُ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَسْمَى الْمَبَادِي الَّتِي

تُنَادِي بِهَا الْأُمَمُ وَالنَّاسُ ، قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . — (النساء : ٥٨)

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَوَخَّى الْعَدْلَ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ

الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا ، وَكَانَ يُحَذِّرُ

الْمُتَخَاصِمِينَ مِنْ مَغِيبَةِ الظُّلَمِ وَالْكَذِبِ ،
وَيَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَقُولُوا كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ مِثْلَ
كَلْفَتِهِمْ .

وَلَعَلَّ الَّذِي يَتَأَمَّلُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالسُّنَّةَ الشَّرِيفَةَ
وَيُطِيلُ فِيهِمَا التَّأَمُّلَ ، يُدْرِكُ أَنَّ قَضِيَّةَ الْعَدْلِ وَالْحُكْمِ
بِالْحَقِّ مِنَ الْقَضَايَا الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي لَا مُسَاوَمَةَ فِيهَا ، فَقَدْ
طَالَبَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْعَدْلِ حَتَّى مَعَ أَعْدَائِهِمْ ، قَالَ
(تَعَالَى) : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا
اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ . (المائدة : ٨)

وَلِذَلِكَ قَالَتْ أَبِهَا الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ مُطَالِبٌ بِالِاتِّبَاهِ ، فَإِذَا
كُنْتَ عَلَى خِصَامٍ وَشِجَارٍ مَعَ أَحَدِ أَصْدِقَائِكَ ، فَلَا يَمْنَعُكَ
ذَلِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ حَكَمًا عَدْلًا مَعَهُ ، فَلَا تَظْلِمُهُ وَلَا تَقُلْ
إِلَّا الصَّدَقَ وَالْحَقَّ مِثْلَ مَا كَلَّفَكَ ذَلِكَ ، وَهَذِهِ هِيَ
أَخْلَاقُ الرُّجَالِ وَالشُّجْعَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ ، وَأَنْ تَجْعَلَنا إِذَا
حَكَمْنَا أَنْ نَحْكُمَ بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ١

الْعَدْلُ

الْعَدْلُ كَلِمَةٌ رَاسِعَةُ الدَّلَالَةِ تَشْمَلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَعَانِي ، وَهِيَ كَصِفَةِ اللَّهِ (تَعَالَى) تَعْنِي أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْعَدْلُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يَعْدِلُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ وَيُثَبِّتُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ وَيَجْزِيهِ بِذَنْبِهِ ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ ، وَيُعْطِي لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . وَوَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ هُوَ عَيْنُ الْعَدْلِ ، أَمَّا وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَهُوَ الظُّلْمُ ، وَحَاشَا لِلَّهِ الْعَدْلُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالظُّلْمِ ، فَقَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الطَّوِيلِ : يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ

بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا . . . (رواه مسلم)

وَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي تَزَكُّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ كَثِيرَةٌ
رَمْتَعْدَدَةٌ ، قَالَ (تَعَالَى) : ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾
وَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ . فَالْعَدْلُ صِفَةٌ حَرُورِيَّةٌ وَلَا زِمَةٌ لِلَّهِ
(تَعَالَى) ، فَهُوَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ
وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الْحَقَّ . . .

وَلَعَلَّ اتِّصَافَ اللَّهِ (تَعَالَى) بِالْعَدْلِ الْمَطْلُوقِ مِمَّا يَجْعَلُ
الْإِنْسَانَ مُطْمَئِنًّا عَلَى مُصِيرِهِ ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ
عَمَلٍ لَنْ يَضِيعَ سُدًى وَلَنْ يَذْهَبَ هَبَاءً ، وَلَكِنَّهُ سَيَلْقَى كُلَّ
تَقْدِيرٍ وَعِنَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ .
وَمِنْ مَعَانِي اسْمِهِ (تَعَالَى) «الْعَدْلُ» : أَيْ الَّذِي خَلَقَ
الْأَشْيَاءَ بِمِيزَانٍ عَجِيبٍ وَقَوَازِنَ دَقِيقٍ ، بِحَيْثُ لَا تَبْدُو هَذِهِ
الْأَشْيَاءُ فِي تَنَاقُرٍ أَوْ اخْتِلَافٍ . وَأَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي
يُظْهَرُ فِيهَا هَذَا الْعَوَازِنُ الدَّقِيقُ هُوَ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ ،
حَيْثُ سَرَاهُ اللَّهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَفْضَلِ تَقْوِيمٍ ، قَالَ

(تعالى) : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ . (الانفطار : ٦ - ٨)

وَإِذَا أَمَعَنَّ الْإِنْسَانُ النَّظَرَ فِي الْكَوْنِ وَمَا يَحْوِيهِ مِنْ أَرْضٍ
وَسَّمَاءٍ وَنُجُومٍ وَكَوَاكِبٍ وَبِحَارٍ ، أَيْقَنَ أَنَّ مِيزَانَ الْخَلْقِ
مُعْتَدِلٌ لَا خَلَلَ فِيهِ ، فَالْعُلَمَاءُ يَحْدِثُونَنا عَنْ إِعْجَازِ اللَّهِ فِي
خَلْقِ الْكَوْنِ بِمَسَبِّ دَقِيقَةٍ وَتَوَازُنٍ عَجِيبٍ ، فَالشَّمْسُ لَوْ
اقْتَرَبَتْ قَلِيلًا مِنَ الْأَرْضِ لَاحْتَرَقَتْ ، وَلَوْ ابْتَعَدَتْ قَلِيلًا
لَتَجَمَّدَتْ ، وَالْقَمَرُ لَوْ اقْتَرَبَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ
لَاغْرَقَتْ الْمِيَاهُ الْيَابِسَةَ ، وَلَوْ ابْتَعَدَ قَلِيلًا لَجَفَّتِ الْمِيَاهُ مِنَ
الْأَرْضِ ، وَلَوْ حَدَثَ ذَلِكَ لَتَوَقَّفَتْ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ عَمَامًا .

يَقُولُ (تعالى) : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ

يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

(الملك : ١ - ٤)

فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ أَحَدًا. وَلَوْ كَانَ
مُثْقَلًا ذَرَّةً ، إِذَا عَفَا قَبْرَ حَمَتِهِ وَعَقْرَهُ وَفَضَّلَهُ ، وَإِذَا عَاقَبَ
فِيَعْدِلُهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَدْلِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْكَوْنَ
وَالْكَائِنَاتِ جَمِيعًا فِي تَوَازُنٍ عَجِيبٍ وَدَقَّةٍ سِتْنَاهِيَةٍ ، تَدْعُو
كُلَّ ذِي عَقْلٍ إِلَى الْإِيمَانِ بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ .

وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي قَوْلِهِمْ وَفِي
حُكْمِهِمْ وَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى
نَمْسِكِهِمْ بِالْقِيمِ وَالْمُبَادَى .

قَالَ (تَعَالَى) ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَبْكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ
لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل : ٧٦)

وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ مَنْ بَيَّنَّ مِنْ يَظْلِمُهُمُ اللَّهُ
بِظُلْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِمَامَ الْعَادِلَ .

ومن الآيات القرآنية الجميلة التي احتوت على جملة من الآداب والأخلاق - برغم قصرها - قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . (النحل : ٩٠)

ولعل المتأمل في هذه المعاني الجميلة يدرك أن الله (تعالى) لم يأمرنا إلا بكل ما هو جميل وطيب ، وذلك لكي نستقيم حياتنا على الحق والعدل والمساواة والحب ، ولم يأمرنا الله أبداً بالإثم والعصيان والبغض والكراهية ، لأن ذلك يحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق . والذي يتدبر آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ يدرك أن العدل هو أساس كل شيء ، فلا يقبل عمل إنسان ظالم لا يعرف العدل قلبه ، ولا بد أن يكون العدل مع الجميع ، مع القريب والغريب ، مع الصديق والعدو ، وذلك حتى تستقيم حياتنا ، ونعيش في حب وتسامح وطمأنينة !